المحاضرة الثانية الشعرية العربية القديمة

عناصر المحاضرة:

أولا: الشفوية والإنشاد في الجاهلية

ثانيا: القرآن الكريم والقطيعة المعرفية

أولا الشفوية والإنشاد في الجاهلية

كان النقد العربي في الجاهلية مرتبطا بالشعر، فقد كان شفويا ذوقيا، يتحكم فيه التأثّر الناتج عن السماع، هذا التأثّر يكون ببعض جزئيات الشّعر كمعنى بيت من الأبيات، أو صورة فنّية من الصور، أو إيقاع من الإيقاعات. كما تميز النقد العربي القديم بوجود مايشبه "المؤسسات" النقدية، كبلاط المناذرة في الحيرة، وبلاط الغساسنة في الشام، أو كسوق عكاظ.

وكان الناقد في العصر الجاهلي يتمثل في جمهرة الشعراء، الذين آمنوا بفكرة المثل الشعري الأعلى، الذي قدم نماذجه امرؤ القيس والنابغة و زهير والأعشى وغيرهم، وإذا تأملنا النصوص المأثورة عن الشعرية الجاهلية سنجد أنها ترتكز على مجموعة من الأفكار الأساسية أهمها:

- الشّاعر الكبير هو الناقد المميز ؛ وفي هذا المقام يتميز "النابغة الذبياني" بتذوقه الشّعري.
- فكرة "شياطين الشّعر" من أبرز الأفكار والأكثر رواجا في الشعرية العربية القديمة؛ حيث يزعم الكثير من الشّعراء أنّ لهم شياطين توحي لهم بالشّعر.
- المفاضلة بين الشّعراء وتمييز أخطائهم؛ وكان الإنشاد سبيلا لإظهار الإعجاب تحت مسمى "فلان أشعر من فلان"، كما كان الجاهليون يحسنون الإنصات ويلحظون أخطاء الشّعراء.

ثانيا: القرآن الكريم والقطيعة المعرفية

وإذا ما طوينا عصر الجاهلية وانتقلنا إلى عصر الإسلام، فإننا حتما سنلحظ تحولا أحدثه الخطاب القرآني، من خلخلة معرفية وقطيعة مع العقلية الجاهلية، فقد تجاوز الخطاب السماوي القدرة الكلامية البلاغية العربية، فكان القرآن أن أحدث " تحوّلا جذريا وشاملا: به وفيه تأسست النقلة من الشفوية إلى الكتابة، ومن ثقافة البديهة والارتجال، إلى ثقافة الروّية والتأمل؛ ومن النظرة التي لا تلامس الوجود إلاّ في ظاهره الوثني إلى النظرة التي تلامسه في عمقه الميتافيزيائي وفي شموليته، نشأة ومصيرا ومعاده".

وكان لهذا التفوّق القرآني أثر في ظهور دراسات ساهمت في إثراء الشّعرية العربية، بعد أن أخذ الدرس الأدبي وجهة المقارنة بين الشّعر والقرآن، ومن أبرز المفاهيم الشّعرية التي ظهرت بعد هذا:

- **الشّعر نظم**: إن سر إعجاز القرآن الكريم في نظر الجرجاني هو النظم، ويعرفه بقوله: "واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخّل بشيء منها".

ونظرية النظم تقترب من مفهوم الأسلوب ومن مفهوم الشعرية بوصفها توصيف بنائي للخطاب سواء كان قرآنا أم شعرا أم نثرا، وهي تبنى على مبدأ العلائقية ، أي علاقة اللفظ مع اللفظ وعلاقة المعنى مع المعنى وعلاقة المعنى مع اللفظ.

لقد نبهت شّعرية النظم الجرجانية، في سياق ما شغل النقاد العرب القدامى، وانقسامهم بين أنصار اللفظ وأنصار المعنى، إلى مسألة جديدة حقا، إنها مسألة "معنى المعنى"، والتي يقول عنها في دلائل الإعجاز: "وإذا عرفت هذه الجمل فها هنا عبارة مختصرة، وهي أن تقول المعنى، ومعنى المعنى تعني بالمعنى المفهوم

من ظاهر اللفظ والذي نصل إليه بغير واسطة وبمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر". ويميز الجرجاني بين المعنى العقلي والمعنى التخييلي؛ فالمعنى العقلي هو المعنى المتعلق بلغة الاتصال اليومي، والمعنى التخييلي الذي لا يمكن أن يقال عنه صدق وأن ما نفاه منفي، وهو متعلق باللغة الأدبية.

- **الشّعر قول موزون مقفى يدل على معنى**: قسّم "قدامة بن جعفر" كتابه "نقد الشّعر" عدة أقسام، محاولا من خلاله تقريب عملية الإبداع الشّعري. وأول مفهوم يواجهنا في هذا الصدد تعريفه للشّعر: (القول الموزون المقفى الدال على معنى) وهو تعريف ينطلق من "البنية السطحية"، فالشعر بناء لغوي يشترط فيه وزن وقافية، ويشترط فيه تضمنه لمعنى معيّن.

- **الشّعر محاكاة و تخييل**: يعتبر هذا المفهوم من أهم المقولات في الشّعرية العربية القديمة، وهو المبحث الذي خصصنا له حيّزا في بحثنا هذا.

لقد كانت الشعرية العربية في العصر الجاهلي، تابعة للقول النقدي الشفهي، من حيث نظرتها الجزئية الناتجة عن فعل الإنشاد والسماع، أما المفاهيم الشعرية التي جاءت بعد ذلك - أي في العصور الإسلامية- فقد تضمنت إشارات لا يستهان بها، تكاد تكون نفسها المفاهيم التي تنادي بها الشعرية الغربية الآن، وهو ما سنلمسه في تحليلنا لشعرية القرطاجني، كما التصقت الشعرية العربية القديمة بالشعر كثيرا، وقل ما نجد اهتماما بالنثر.